الفصل الثانى

التجربة الشعرية

- مفهوم التجربة عند النقاد .
- عوامل مؤثرة فى التجربة .
- تطور مفهوم الشعر فى القرن العشرين .
- مفهوم الشعر عند يس الفيل .
- موقفه من التراث والحداثة .

التجربة الشعرية

مفهوم التجربة الشعرية عند النقاد :

" إن قصيدة ما يكتبها شاعر لا بد أن يكون لها ماض شعورى فى نفسه .. والماضى يثار بكل مكوناته فى لحظة ، والشاعر يملك القدرة على التقمص واسترجاع التجربة الشعورية بنفس حرارتها ولو مرت عليها سنون طويلة ".(١)

والتجربة: هى الانفعال الذى عاشه الشاعر تجاه موضوع سواء عاناه بنفسه أو عاناه غيره وعبرعنه فى مضمون جيد وأسلوب أدبى ، وهى فيما يراه الدكتور غنيمى هلال "الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التى يصورها الشاعر حين يفكر فى أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتى وإخلاص فنى .....والتجربة الشعرية يستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا فى دقق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجى "(٢) . وفيما يراه الدكتور إبراهيم أبو الخشب " أن يرتبط الشاعر بما يقول ارتباطاً وجدانياً عميقاً . ينبى عن [illegible] وامتزاجه به وفنائه فيه عقلياً وفكرياً وشعورياً .(٣)

ولا المفهوم قريب إلى حد كبير من المفهوم الذى ذكره الدكتور أحمد هيكل حينما قال " إن التجربة الشعرية هى ما يجده الأديب فى نفسه من عاطفة جياشة يفيض بها قلبه ، أو فكرة ملحة يعتمل بها عقله ، أو قضية حية يزدحم بها وجدانه ".(٤)

١- د.كمال نشأت: فى نقد الشعر الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩١ ، سلسلة كتابات نقدية ، عدد ٧،ص ٣١.
٢- د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٣٨٣.
٣- د.إبراهيم على أبو الخشب : فى محيط النقد الأدبى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ ص ٢١٣.
٤- د. أحمد هيكل فى الأدب واللغة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ١٩٨٨ ، ص ١٥ .

ومن خلال المفاهيم السابقة للتجربة يتبين لنا أن أية تجربة شعرية تتكون من مجموعة عناصر هى :

١- **الوجدان** : وهو مجموعة الأحاسيس والمشاعر التى تجعل للشعر مكانته فتهفو له القلوب ، وتهتز له النفوس ، وهذه الأحاسيس والمشاعر كما يرى الدكتور شوقى ضيف من " أهم العناصر فى قصيدة ، أو فى التجربة الشعرية ، إذ هى المفتاح الذى يسقط منه النغم "(١)

٢- **العقل أو الفكر** : ويتمثل فى الخواطر والأفكار التى يبديها الشاعر فى موضوع تجربته ، إذ لا يخلو أى عمل فنى من آثار العقل والفكر ، وأهميته ترجع إلى صيانة التجربة من الخلط والاضطراب ، ويعمل كذلك على زيادة العمق الفنى للتجربة " ولولاه لكانت خليطاً مضطرباً لا تسوده وحدة ولا يسوده نظام ، فهو الذى يؤلف بين شتيتها ، ويجمع بين منثورها ويكون بناءها حقا " .(٢)

٣- **الصياغة الشعرية** : وهى تعمل على امتزاج الفكر بالعاطفة " والقيمة الفنية للقصيدة هى فى تواؤم تجربتها الشعرية مع صياغة هذه التجربة " وإذا كان أسلوب الصياغة الشعرية بمثابة الجسم فى القصيدة فإن التجربة بمثابة الروح ، فإذا كان الجسم قويا ، أضفى على الروح قوة وجمالاً ".(٣)

١- د.شوقى ضيف : فى النقد الأدبى ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٢ ص ١٤٦

٢- المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

٣ - مصطفى السحرتى : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٨ ، ص ٢٥، ٤٥.

ولكل عنصر من هذه العناصر السابقة أثره وقيمته فى التجربة ، لأنها ليست وجداناً فقط ، أو فكرا فحسب ، وإنما هى امتزاج الوجدان والفكر معاً ، فإذا اعتمدت على الفكر المحض فقدت روح الشعر وحرارته ، وإذا اعتمدت على الشعور المحض فقدت قيمتها وتأثيرها " ومعنى ذلك أن التجربة الفنية ينبغى دائماً أن تكون تجربة نفسية للعقل عمل فيها ، ولكن بشرط أن لا يخرجها من عالمها : عالم الرؤى والأحلام والصور الطريفة " ولعله من أجل ذلك كان الخيال عنصرا مهما فى التجربة الشعرية ؛ لأنه يساعد على تمام الحلم واكتماله ، وبمقدار ما يجعلنا الشاعر نحلم تكون قيمة قصيدته ، إذ يخرجنا من عالمنا الحقيقى إلى عالمه النفسى" .[1]

وتكتسب التجربة عنصر الثبات والخلود إذا توفر لها الصدق الوجدانى وعمق الفكر وأصالته "لكن ينبغى ألا نفهم هذا الجانب الفكرى من خلال المنظور الخاص بالحقائق العلمية ككليات عامة يتحقق من يقينها بالاختبارات المادية المحسوسة ، ولكن هذا الجانب الفكرى يخضع فى التجربة إلى لون آخر من الصدق وهو الصدق الفنى" .[2]

وهذا الصدق الفنى " مرده إلى مدى ما يكون من استجابة بين التجربة التى تتضمنها قطعة من الأدب وبين ما يحدث أو يقع للإنسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع " .[3] فلابد فى التجربة الشعرية الجيدة من شرط أساسى يتحقق وهو الصدق الفنى وبغير هذا الشرط يفقد الشعر قيمته الأدبية . "والمراد بصدق التجربة : أن يحسها الأديب بالفعل إحساسا يسيطرعليه ، ويدفعه دفعاً

١- د.شوقى ضيف فى النقد الأدبى ص ١٤٦.

٢ - د.السعيد الورقى :لغة الشعر العربى الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٦٣.

٣ - د.محمد زكى العشماوى :قضايا النقد الأدبى ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٠ ص ١٥.

إلى التعبير وليس المراد بصدق التجربة هذا الصدق الواقعى الذى يفرض أن يكون الأديب قد عاش فى الحياة الأحداث التى يعبر عنها ، أو عرف فى الواقع الأشخاص الذين يصورهم أو سمع بالفعل الحوار الذى يجريه ، وإنما المراد بالصدق الصدق الشعورى الذى يفعم وجدان الأديب ".[1]

وليس من الضرورى أن يعيش الشاعر التجربة بنفسه أو يدرك الأحداث بذاته وإنما المهم أن ينفعل بهذه الأحداث ، ويتأثر بالفكرة والظروف ، وقد يعانى الشاعر التجربة دون أن يعيش واقعها ولكنه ينفعل بها تخيلاً.

وموضوع التجربة إما أن يكون حدثا من أحداث الحياة ، أو حالة نفسية خاصة ، أو موقفا اجتماعيا أو إنسانيا أو سياسيا ، فموضوعات التجارب كثيرة وقد يكون الموضوع هين قليل القيمة ، وقد يكون خطيراً ، ولكن تفاهة الموضوع أو خطورته لا أثر له فى قيمة التجربة ،لأن قيمتها تتوقف على درجة الانفعال والتأثر ولذلك يقول الدكتور غنيمى هلال : " الحق أننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التجارب التى موضوعها هين قليل القيمة ، متى استطاع الشاعر أن يضفى عليها من شعوره وتصويره وأخيلته القوية ما تنفذ به إلى ما فيها من معان جمالية أو إنسانية ، وبقوة الملكة الشعرية يستطيع الشاعر أن يجد موضوعات للتجارب الصادقة فى كل ما حوله ، متى خلع عليها من إحساسه ، وفاض عليها من خياله".[2]

وبهذا يتضح لنا أن التجربة الشعرية تجربة فنية تهتم بالانفعال الشعرى ووسيلة تجسيد هذا الانفعال هو اللغة بكل ما يتصل بها من ألفاظ وصور وخيال

---

١ - د.احمد هيكل فى الأدب واللغة ، ص ١٦.
٢ - د. محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث ، ص ٣٨٧.

وعاطفة وموسيقى ، كما أنها "ليست مجموعه من المعانى المتناثره يفرغها الشاعر فى قوالب من الشعر كما يشاء ، وإنما هى كلٌ وجدانى متماسك متناسق ، تتبادل أجزاؤه التعاون فى التعبير عنه ، فلكل جزء دلالته وفى دلالة ترتبط بالكل ارتباطا عضويا". (١)

عوامل مؤثرة فى التجربة :

" قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما عاشه الأديب وشارك فيه فى الواقع كما قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما قرأه الأديب أو سمعه ، كما قد يكون محرك التجربة ومثيرها ما تخيله الأديب أو تصوره ، والمهم فى كل الحالات أن يحس فى داخله إحساسا صادقا وأن ينأى تماما عن الكذب الشعورى والافتعال الذى لا سند له من صدق الوجدان". (٢)

وأول هذه العوامل وأهمها المرأة ، فقد عرفها فى وقت مبكر من حياته وكان أول ما خفق به قلبه ، حبه وهو دون العشرين من عمره لفتاة من أهل قريته كانت تكبره بسنوات قليلة .

وقد هذا الحب كما يقول : " بمثابة الشرارة التى اندلعت فى الهشيم كل صدق الحب وإخلاصه وتفانيه، كل ترفعه وتعاليه ، كل عزته وأنفته ، كل اندماجه وتوحده . (٣) ولكن هذا الحب يصحو منه الشاعر فجأة على كابوس مخيف وجراح لا تلتئم ، لأنه بعد أن تأصل فى نفسه ، وتمكن من قلبه ، وامتزاج بروحه زكيانه تصرمت حباله ، فقد تزوجت الحبيبة ، وحال زواجها دون وصالهما فرحلت عنه لكنها تركت ذكرياتها تنشب أظفارها فى قلبه .

---

١ - د.شوقى ضيف : فى النقد الأدبى ، ص ١٤٥.
٢ - د.أحمد هيكل : فى الأدب واللغه ، ص ١٦.
٣ - حوار مخطوط أجريته مع الشاعر .

ثم كانت له بعد ذلك فى دمنهور تجارب عاطفية أخرى ، باءت جميعها بالفشل ، لكن كانت لهذه التجارب المحبطة أثر كبير على انتاجه الشعرى ، حيث مدته بالكثير من القصائد ، صور فيها المرأة بأنها خادعة ومنافقة ، تبطن غير ما تظهر ، ترتكب الفواحش وتدعى العفة . وعندما نتتبع علاقة يس الفيل بالمرأة من خلال شعره لا نجد إلا وجها واحداً من وجوه العلاقة بين الرجل والمرأة وهو وجه الخيانة والغدر فى الغالب الأعم ، ومعنى ذلك أن لحظات السعادة والتوافق كانت قليلة ، بينما كثرت أوقات الشقاء والصد والهجران ، ولست فى حاجة إلى ذكر الشواهد من شعره لأدلل على ما أقول ، فسوف يأتى ذلك فى حينه عند الحديث عن الدراسة الموضوعية .

ومن هذه العوامل كذلك ، الفقر ، فلم يرث عن أبيه مالاً يجنبه أعباء الواجب وضرورات الحياة ، ولم تكن له وظيفة ولا لقب علمى يجعله يكتسب مكانة ادبية رفيعة ، فسعى إلى تحقيق ذاته عن طريق الشعر . وربما كان الفقر أيضاً من أسباب فشله العاطفى ، فكثيراً ما يتطلب الحب نفقات مادية قد لا تكون فى استطاعة المحب ، فيحدث نتيجة لذلك فراق بين المحبين يصفون على أثره بعضهم بعضاً بالغدر والخيانة وعدم الوفاء .

تطور مفهوم الشعر فى القرن العشرين :

جاء القرن العشرون وقد أخذ الشعر فى التغيير نتيجة لتثقف بعض الشعراء بالثقافة الغربية ، فأخرج شوقى سنة ١٨٩٨م الجزء الأول من ديوانه "الشوقيات" ، قدم له بمقدمة أبان فيها عن تصوره للشعر وعما ينبغى أن يكون

عليه.... وحاول أن ينزع عن نفسه بعض التقاليد ، وأن يقول الشعر بطريقة جديدة تتغير فيها بعض موضوعاته وبعض أساليبه محتفظا بالإطار العام القديم". (١)

ونظم حافظ إبراهيم قصيدة بعنوان "الشعر" ابان فيها عن رغبته فى التجديد والاستفادة من الثقافة الغربية: (٢)

أن يا شعر أن نفسك قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

ولكن" تهليل شوقى الكبير فى مقدمته لشوقياته بأنه سينحرف عن مجرى الشعر العربى لم يحققه إلا بأطراف أنامله كما يقول ، فلم ينزع منزعاً جديداً واضحاً ...ومعنى ذلك أن البركان الذى أنذر بالثورة فى مقدمة الشوقيات لم يلبث أن هدأ وأنطفأ فى صدره إلا قليل جدا".(٣)

وفعل حافظ مثل ذلك، فلم يجدد إلا فى أقل القليل ،وسارت هذه المدرسة التى تضم غير شوقى وحافظ على الجارم ، ومحمد عبدالمطلب ، وأحمدالزين ومحمد الأسمر ، وغيرهم من الشعراء المحافظين .

وهؤلاء الشعراء "يقل فى شعرهم ظهور شخصياتهم الفنية ظهوراً واضحاً بل تختفى ذاتيتهم فى غمار التقليد والمحاكاة ".(٤) وهذا ما نعاه عليهم أصحاب مدرسة الديوان .

ثم جاءت مدرسة الديوان ونزعت إلى التجديد متأثرين بما قرأوه فى الأدب الغربى والشعر الإنجليزى بصفة خاصة، وفهموا الشعر على أنه بوح وجدانى

---

١ - د.شوقى ضيف: شاعر العصر الحديث دار المعارف ، ص ٧٧ ، ٧٨.

٢ - ديوان حافظ ، الهيئة العامة للكتاب ،الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ، ص ٢٣٨.

٣ - د.شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ، ص ٧٤.

٤ - د.محمد عبدالمنعم خفاجى: النقد العربى الحديث ومذاهبه ، مطبعة الفجالة ، ١٩٧٥ ص ١٢٦.

يعبر عن مكنون النفس الإنسانية أياً كانت ، "وأخذوا ينظمون على مذهب جديد يلغى فيه شعر التهانى والمديح والهجاء ، ويوضع مكان ذلك شعر التجربة التى تحدث حديث النفس وتصور حياة الناس وأحلامهم الداخلية وأوهامهم وخواطرهم العقلية."[1]

ثم ساير أصحاب مدرسة الشعر الحر الديوانيين فى فهمهم للشعر ، ولكنهم أسرفوا فى اتجاههم الذاتى إسرافا شديداً ، "وتعمقوا فى مسارب النفس حتى أوشك حديثهم أن يكون ألغازا ، وأطالوا الحديث عن آلام المجتمع والفرد" .[2]

وإذا كان الشعر قد انساق إلى تقليد الأقدمين عند شوقى وحافظ وأضرابهما ولم يخرج عن إطار الصورة العامة للشعر القديم فى صياغته ، فإنه على يد كل من الديوانيين وأصحاب الشعر الحر ، "قد رفع عنه أوضار الماضى ، ونضا عنه قيود التقليد ، وأصبح يخرج من أفواه قائليه أصيلاً مرتبطاً بأنفسهم ارتباطاً وثيقاً ".[3]

مفهوم الشعر عند يس الفيل :

يرى يس الفيل أن الشعر تعبير عن مكنون النفس وخلجاتها ، وليس هذا فحسب ، ولكنه تعبير عن الوجدان الجماعى أوهو كما يقول : "الشعر تعبير واضح عن مشاعر صادقة ، وبلورة لكل ما يعتمل بالنفس الإنسانية ، وكلما كان الشعر رصداً واعياً لحركة المجتمع ورؤيا نافذة لما تستره الحجب عنا ، ثم معايشة التجارب بحميمية وإبرازها فى الإطار الذى يتسق مع جزئياتها ، كلما أشرف الشعر على الغاية ، وكلما حقق الهدف المنشود من المعاناة القائلة ".[4]

---

١ - د.شوقى ضيف :شوقى شاعر العصر الحديث ، ص ٨٢.
٢ - العوض الوكيل: الشعر بين الجمود والتطور ، مطابع دار القلم القاهرة ، ص ٩٥.
٣ - المصدر السابق ، ص ٩٥ .
٤ - مجلة الجزيرة عدد ٨١٣٠ يناير ١٩٩٥، ص ١٨.

فهذا التصور لمفهوم الشعر عند يس الفيل يلتقى مع التصور العقادى للشعر "الذى يرتكز على الإحساس بالذات والاعتصام بالعبقرية الفردية من جانب وعلى الصدق الخارجى من جانب آخر" .(١)

ويبدو أثر مفهوم العقاد للشعر واضحاً بقوة على شاعرنا ، فالعقاد كان علماً من أعلام الأدب الحديث ورائداً كبيراً من روادة . له آراؤه الفكرية التى أثرت فى عدد كبير من الأدباء .

ولا ريب فى أن يس الفيل قرأ ما كتبه العقاد من مقالات عديدة عن مفهومه للشعر ؛ حيث كان يدعو إلى أن يكون الشعر تعبيراً عن ذات قائله وشخصيته . وشاعرنا يرى أن التعريف التقليدى للشعر بأنه الكلام الموزون المقفى لا ينظر إلى الشعر إلا من حيث إحكام القوافى والأوزان ، وهو بذلك لا يعبر تعبيراً صادقاً عن أثر التجربة الإنسانية ؛ حيث يفتقد الصدق الشعورى والتعبيرى فالشعر يـ أن يكون ملتزماً بالحالة النفسية والتعبير عنها .

وقول يس الفيل عن الشعر بأنه بلورة لكل ما يعتمل بالنفس الإنسانية مفهوم رومانسى أصيل، فهذه المقولة تفضى بصاحبها إلى فضاء الرومانسية الواسع حيث التغنى بعواطف الإنسان وآلامه وآماله ، وهو بهذا يؤكد الجانب الذاتى الذى يلتقى مع الجانب الرومانسى ، ومع ذلك تبقى هناك عناصر أخرى فى فكر الشاعر تثبت قدميه فى أرض الواقعية ويتضح هذا من قوله : إن الشعر رصد واعٍ لحركة المجتمع .

وبعد هذا العرض لمفهوم الشعر عند يس الفيل أستطيع أن أقول : إن شعره جاء مزيجاً من اتجاهات شتى لا تنتمى جذورها إلى مدرسة بعينها ، فنجد

---

١ - د.عبدالعزيز شرف: الرؤيا الإبداعية فى شعر الهمشرى ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، عدد ٤٦٠ ، ديسمبر ١٩٨٠ ، ص ٢٠١.

له أشعارًا يحاكى فيها ابن زيدون ، أو حافظ إبراهيم ، أو محمود حسن إسماعيل أو كامل الشناوى ، وأخرى تموج بها بحار الرومانسية ، وأشعاراً تلامس الواقعية وإن لم تنغمس فى خضمها ، ومع ذلك فإن معظم شعره يندرج تحت الاتجاه الرومانسى وإن كان يس الفيل "لم يقصد الكتابة الإبداعية تحت لافتة الرومانسية كمذهب أو اتجاه لذاته ، فالمذاهب الأدبية حالات نفسية تشيع فى عصر من العصور فيصدر عنها الشعراء والكتاب ولكنها لا تصطنع". (١)

موقفه من التراث والحداثة :

قرأ "يس الفيل" ما تهيأ له من دواوين الشعراء القدامى ، فعرف من خلالها قوة الأساليب وصفاء الموسيقى، ومن ثم كان اعتماده على التراث كعامل أساسى فى تكوينه الثقافى ورافد غزير لتجربته الشعرية .والشاعر الحق كما يقول شاعرنا "هو الذى يتحد بتراثه ولا ينفصل عنه ، ثم ينطلق منه وبه إلى الآفاق الرحبة مواكباً للزمن الذى يحياه". (٢)

وإذا كان الشاعر قد اتكأ على التراث واتخذه وسيلة أساسية ضمن مكوناته ، كما كانت له تجارب جديدة فى تشكيل القصيدة، فكتب شعر التفعيلة ووظف الأساطير والشخصيات التاريخية والدينية باعتبارها تراثاً إنسانياً عاماً وله رأى فى الحداثه يختلف عن رأى أولئك الذين يغلفون شعرهم بالغموض والتعمية مدعين أن تلك هى الحداثة فى الشعر، فالتجديد عنده مرتبط بالأصالة كما أنه يرفض التجديد السطحى المبتذل، وهذا الموقف للشاعر من التراث والحداثة لا نحكم له أو عليه الآن، ولكن سيترك للدراسة الموضوعية والفنية حتى يطبق على ما يقابله من شعر.

---

١ - د.أحمد زلط : دراسات نقدية فى الأدب المعاصر ، دار المعارف الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، ص ١٩٠.
٢ - حوار مخطوط أجريته مع الشاعر.